# كيفية التعامل مع الميدان في البحوث الاجتماعية

**الدكتور: لعلى بوكميش***

**جامـــــعة أدرار**

**الجزائر**

## ملخص

يهدف هذا البحث الى توضيح كيفية تعامل الباحث مع الميدان في مجال العلوم الاجتماعية، وذلك على اعتبار أن مراحل البحث العلمي كثيرة ومتنوعة. أي أن هذا البحث يسعى للاجابة على السؤال الرئيسي الذي مؤداه: خلال أي مرحلة من مراحل البحث يجب على الباحث مراعاة الميدان؟

لقد تم التوصل في نهاية البحث الى نتيجة عامة مفادها أنه يجب على الباحث أن يراعي الميدان خلال جميع مراحل البحث؛ بداية من اختيار الموضوع وصولاً إلى تحليل وتفسير البيانات واستخلاص النتائج.

---

* — نائب مدير الجامعة مكلف بالتنشيط وترقية البحث العلمي والعلاقات الخارجية والتعاون.

**مقدمـــة:**

تعتمد معظم البحوث والدراسات الاجتماعية على الواقع أو الميدان، لأن موضوعها هو الظواهر الموجودة في هذا الواقع وهدفها هو تفسير هذه الظواهر.

ويشكل الواقع أو الميدان نقطة البداية والنهاية في هذه البحوث والدراسات، فهي تنطلق منه وتصل إليه في نفس الوقت؛ تنطلق منه عند اختيار الظاهرة موضوع الدراسة وتصل اليه عند تفسير هذه الظاهرة المرتبطة به إي بالواقع.

ويلعب الميدان دورا مهما في البحث العلمي، لأنه يمكن الباحث من دراسة الظواهر دراسة واقعية وموضوعية، ويعطي له الفرصة للتعامل المباشر مع هذه الظواهر كما هي موجودة في الواقع، ويمكنه من الوصول الى نتائج دقيقة وسليمة، فهو المحك الذي يختبر فيه الباحث صدق النظريات وصحة الفرضيات.

إن مراحل البحث كثيرة ومتنوعة فمتى يجب على الباحث أن يراعي الميدان؟ وخلال أي مرحلة؟ فالكثير من الباحثين يعتقدون بأنّ الميدان هو آخر خطوة يفكرون فيها بعد إنجاز الجانب النظري من أبحاثهم، فهل هذا التفكير صحيح وسليم؟

وهكذا يأتي هذا البحث كمحاولة للاجابة على هذه التساؤلات، حيث تم تقسيمه الى جزئين يتناول الأول توضيح ماهية البحث الميداني، بينما يتناول الجزء الثاني توضيح موقع الميدان خلال مراحل البحث المختلفة.

## أولا- ماهية البحث الميداني:

قبل أن نتطرق إلى تعريف البحث الميداني يجدر بنا بداية أن نحدد المقصود بكل من البحث العلمي والميدان.

**1- تعريف البحث العلمي:**

يعرفه "هيلواي" "Hillway" بأنه: "طريق للدراسة يمكن بواسطته الوصول إلى حل للمشكلة من خلال التقصي الدقيق والشامل لجميع الأدلة الواضحة التي يحتمل أن تكون لها علاقة بالمشكـــــلة المحددة "[1].

كما يعرفه موريس أونجار " Maurice Angers " بأنه: "نشاط علمي يعتمد على عملية جمع وتحليل البيانات بهدف الإجابة عن مشكلة بحث محددة"[2].

ويعرفه أحمد بدر بأنه: "وسيلة للاستعلام والاستقصاء المنظم والدقيق الذي يقوم به الباحث بغرض اكتشاف معلومات أو علاقات جديدة، بالإضافة إلى تطوير أو تصحيح أو تحقيق المعلومات الموجودة فعلاً...على أن يتبع في هذا الفحص والاستعلام الدقيق خطوات المنهج العلمي واختيار الطريقة والأدوات اللازمة للبحث وجمع البيانات"[3].

من خلال ما سبق يمكن تعريف البحث العلمي بأنه استقصاء دقيق ومنظم وهادف يقوم به الباحث من أجل إزالة الغموض عن الظواهر واكتشاف ظواهر جديدة أو قوانين ونظريات جديدة أو التحقق من قوانين ونظريات موجودة، ويتم ذلك باتباع قواعد المنهج العلمي.

**2- تعريف الميدان:**

يشير "جين كلود كومبيسي" (Jean Claude Combessie) بأن: "مصطلح الميدان (Le Terrain) مصطلح مستعار في علم الأنثروبولوجيا يستخدم للدلالة في نفس الوقت عن موضوع الدراسة (objet d'étude) وعن مكان الإقامة (Lieu de séjour)، وهذه الإقامة قد

---

[1]- Tyrus Hillway, Introduction To Resarch, 2nd ed, Honghton Mifflin company, Boston, 1964, p. 5.

[2]- Maurice Angers, Initiation pratique à la Méthodologie des sciences Humaines, Casbah Université, Alger, 1997,p. 36.

[3]- أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، ط6، وكالة المطبوعات، الكويت، 1982، ص20.

تكون لساعات قليلة (مثل ملاحظة حفلة، وجبة غداء، شرب قهوة، درس...) وقد تستمر إلى عدة سنوات (حضور دائم، إقامات متكررة، في بعض الأحيان تتم العودة إلى الميدان لكونه كان مكانا للعيش أو البحث)"[1].

إذن فالميدان يشكل في نفس الوقت موضوع الدراسة أي الشيء الذي يدرسه الباحث، كما يشكل أيضا المكان الذي يقيم فيه الباحث أو يمكث فيه من أجل إجراء الدراسة أي ملاحظة الظواهر والتعامل معها.

والذي يهمنا هو أن الميدان موضوع للدراسة أي شيء واقعي موجود يتعامل معه الباحث، يلاحظه ويشاهده ويدرسه.

والميدان قد يكون عبارة عن مجتمع أو أحداث أو ظواهر أو أشخاص أو مواقف أو غير ذلك من الأشياء الموجودة في الواقع.

وما يجب التأكيد عليه هو أن الميدان موجود قبل اكتشاف الباحث له أو تعامله معه، مثلا باحث يجري دراسة حول مجتمع الطوارق فهذا المجتمع موجود قبل أن يقوم البحث بدراسته والتعامل معه.

كما يجب على الباحث أن يتعامل مع الميدان كما هو أي أن يتعامل مع الأشياء والظواهر والأحداث التي يلاحظها في الميدان كما هي موجودة في الواقع كأشياء مستلقة عنه لا تؤثر فيه ولا يتأثر بها.

وهذا ما دعى إليه إميل دوركايم منذ سنة 1895 عندما قال بأنه "يجب معالجة الأحداث الاجتماعية كأشياء"[2].

---

[1]- Jean Claude Combessie, La méthode en sociologie, casbah éditions, Alger, 1998, p. 15.

[2]- Emile Durkheim, les Règles de la méthode sociologique, PUF, paris, 1895, copier de : Jean claulde combessie, op.cit, p. 3.

فهي دعوة للباحث للتعامل مع الميدان بالموضوعية، أي كشيء مستقل عنه.

**3- تعريف البحث الميداني:**

يعرف "موريس أونجار" البحث الميداني ( Recherche sur le terrain) بأنه: "بحث يقود الباحث نحو الأشخاص المبحوثين"[1].

أي أنه بحث يقود الباحث للتعامل مع الميدان ومن ثم مع المبحوثين، وهكذا فإن أي بحث يقود للتعامل مع المبحوثين يعتبر بحث ميداني.

وقد يتساءل شخص ما عن علاقة البحث الميداني بالبحث التطبيقي؟ وللإجابة عن هذا السؤال لابد من تحديد معنى البحث التطبيقي.

يعرف البحث التطبيقي (Recherche appliquée) بأنه: "بحث يهدف إلى تقديم توضيحات حول مشكلة ما من خلال تطبيقات عملية"[2].

من خلال هذا التعريف يتضح بأن البحث التطبيقي أشمل وأعم من البحث الميداني، ذلك أن البحث التطبيقي قد يجريه الباحث في مجال العلوم البحتة وكذلك في العلوم الاجتماعية المهم أن هناك تطبيقاً عملياً، في حين أن البحث الميداني لا يستخدم إلا في البحوث الاجتماعية أين يتم التعامل مع المبحوثين.

إذن البحث الميداني حسب هذه الدراسة هو البحث الذي يتعامل فيه الباحث مع الميدان أي مع المبحوثين وهو يطبق في مجال العلوم الاجتماعية فقط، مثل علم الاجتماع، علم النفس، علم الإدارة، العلوم التجارية، الأنثروبولوجيا، العلوم الاقتصادية والعلوم السياسية وغيرها.

ولكن هل كل البحوث الاجتماعية هي بحوث ميدانية أم لا؟

---

[1]- Maurice Angers, op.cit, p. 36.

[2] - Ibid, p. 37.

للإجابة على هذا السؤال يجب أن نميز بين البحث الميداني والبحث الوثائقي، حيث يعرف البحث الوثائقي (Recherche Sur documents) بأنه: "بحث يقوم على جمع المعلومات من الوثائق"[1].

وحسب " هيلواي" "Hillway" فان "البحث الوثائقي يتضمن بشكل أساسي عرض الأدلة المأخوذة من الوثائق والسجلات وترتيبها مع بعضها البعض بشكل منطقي، والاستناد على هذه الأدلة لاستخلاص نتائج جديدة أو الوصول إلى تعميمات صحيحة حول الأحداث الماضية والحاضرة"[2].

من خلال ما سبق يتبين بأن البحث الميداني مختلف عن البحث الوثائقي، لأن هذا الأخير لا يتصل بالميدان ولا يتعامل فيه الباحث مع الميدان بل يقتصر فقط على الوثائق، لذلك يمكن أن نسمي البحوث الوثائقية بالبحوث النظرية.

وللإشارة فان البحث الميداني قد يأخذ صورة بحث استكشافي أو بحث شكلي[3]:

أ. **البحث الاستكشافي** (Exploratory research):

يستخدم هذا النوع من البحوث عندما تكون البيانات التي تتناولها الدراسة محدودة(شحيحة)، والاستكشاف هو أول خطوة في مشروع البحث ويستعمل لتوجيه الباحث وتوجيه الدراسة، ويهدف الاستكشاف إلى تطوير الفرضيات وليس اختبارها.

وتتميز البحوث الاستكشافية بكون درجة الدقة فيها ضعيفة على خلاف الأنواع الأخرى.

---

[1] - Ibid, p. 41.

[2] - Tyrus Hillway, op.cit, p. 142.

[3] - voir : C. William Emory and Donald R. Cooper, Business Research Methods, 4th ed, Irwin Inc , Homewood, USA, 1991, pp. 145-148 and p. 161.

**ب. الدراسات الشكلية** (Formaliyed Studies):

تسمى أيضا الدراسات الصياغية، وهي تلك الدراسات التي لها هيكل متقن وفرضيات محددة من أجل اختبارها أو لها أسئلة بحث من أجل الإجابة عنها، وهي تتضمن كل من الدراسات الوصفية والسببية[1]:

- **الدراسات الوصفية** (Descriptive Studies):

قد تكون الدراسة الوصفية بسيطة أو معقدة، ويتمثل الهدف في الدراسة الوصفية إيجاد أجوبة عن الأسئلة التالية المتعلقة بالظاهرة أو الموضوع وهي: من؟ وماذا؟ ومتى؟ وأين؟ وكيف؟

وترتبط الدراسات الوصفية بأسئلة أو فرضيات حول تحديد حجم أو شكل أو توزيع أو وجود متغير معين.

- **الدراسات السببية** (Causal Studies):

تسعى لتحديد كيف أن متغير معين يؤثر أو يعتبر المسؤول عن التغير الحادث في متغير آخر، فهي تركز على البحث في أسباب حدوث النتائج.

ومفهوم السببية تطور ضمن منطق اختبار الفرضيات (الفرضيات السببية).

ويتم إنجاز البحث الميداني بشكل عام عن طريق المرور بمراحل عامة تسمى بـــ "دورة البحث" (Le cycle de la recherche) وهي دورة يمر بها أي بحث، حيث يعرف "موريس أونجار" دورة البحث بأنها: "حركة دائرية للتفكير والنشاط العلمي الذي يمر أساسا بالتصميم والمنهجية والملاحظات"[2]. كما هو موضح في الشكل التالي:

---

[1] - voir : C. William Emory and Donald R. Cooper, op.cit, pp. 148-161.

[2] - Maurice Angers, op.cit, p. 45.

**شكل رقم (01) يوضح دورة البحث**

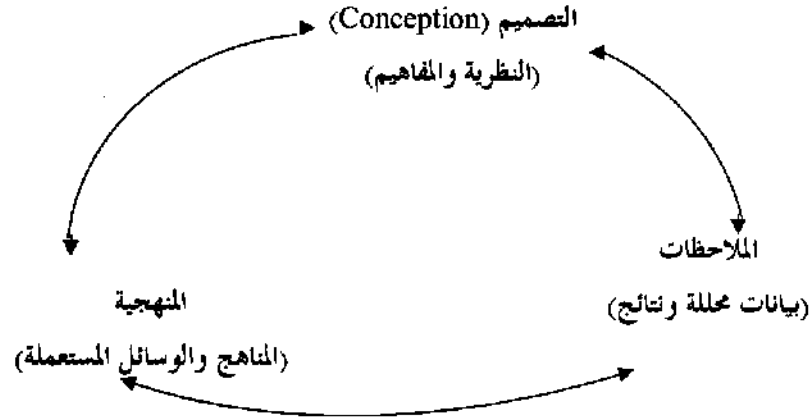


(Saurce: Maurice Angers, op.cit, P. 45)

من خلال التعريف السابق ومن خلال هذا الشكل يتبين أن البحث العلمي يمر عبر دائرة حركية تشمل جانب تفكيري وجانب عملي (نشاط بحثي أو ممارسة عملية) تبدأ بالتصميم الذي يشمل الاهتمام بالموضوع وتحديد النظرية التي تتكون من مفاهيم وقضايا مترابطة بشكل منطقي، ثم المنهجية التي تشمل تحديد الإجراءات اللازمة والوسائل الضرورية لجمع البيانات والتعامل مع الواقع، وأخيرا الملاحظات والتي تشمل ملاحظة الواقع وجمع المعطيات وتحليلها ثم العودة مرة أخرى إلى النظرية للاختبارها وهكذا تستمر الدائرة.

ولكن نلاحظ في الشكل أن الأسهم لا تعبر عن حركة في اتجاه واحد بل قد تكون الملاحظة ومن ثم الميدان مصدراً لاختيار النظرية ثم تحديد المنهج واختبار النظرية في الميدان وهكذا.

ويمر البحث الميداني بعدة مراحل إجرائية ومن أبرزها ما يلي*:

- اختيار الموضوع.
- تحديد المشكلة.
- طرح سؤال الانطلاق.
- صياغة الفرضيات.
- التعريف الإجرائي للمفاهيم.
- اختيار النظرية.
- اختيار المنهج.
- تصميم خطة البحث.
- تصميم أدوات جمع البيانات.
- جمع البيانات.
- تحليل البيانات وتفسيرها.
- استخلاص النتائج وتقديم التوصيات.
- كتابة تقرير البحث.

ولكن هناك سؤال مهم يواجه أي باحث يقوم بإعداد بحث ميداني وهو: خلال أي مرحلة من هذه المراحل يجب مراعاة الميدان؟

---

* - هناك اختلاف بين العلماء والباحثين حول عدد مراحل البحث العلمي، ومع ذلك فقد حاولنا حصر أبرز الخطوات العملية الضرورية لإنجاز البحث الميداني، وفي هذا الإطار نشير بأن "إموري وكوبر" قد ذكرا بأن البحث يتضمن ثلاث مراحل عامة وأساسية هي:1- اكتشاف الموقف،2- جمع البيانات،3- تحليل وتفسير النتائج أنظر: C. William Emory and Donald R. Cooper, op.cit, p. 139.

وللإجابة عن هذا السؤال علينا أن نستعرض كل مرحلة من هذه المراحل ونبين موقع الميدان فيها، وهذا ما سنناقشه في العنصر الموالي.

## ثانيا– موقع الميدان في مراحل البحث المختلفة:

سوف نتطرق في هذا العنصر لمختلف مراحل البحث مع محاولة إبراز موقع الميدان في كل مرحلة منها.

### 1– مرحلة اختيار موضوع البحث:

إن اختيار موضوع البحث يعتبر الخطوة الأولى في عملية البحث والنجاح فيها غالباً ما يؤدي إلى النجاح في باقي خطوات البحث الأخرى، وفي هذا السياق يقول "أندري وولي" "André Ouellet" مبينا أهمية عملية ومرحلة الاختيار: "إن سر النجاح في البحث يكمن في اختيار السؤال الجيد والموضوع الجيد للبحث"[1].

وتنطوي عملية الإختيار على قرار شخصي يتخذه الباحث بتفضيل موضوع معين دون غيره من المواضيع الأخرى، ولكن من أين يختار الباحث موضوع بحثه؟

لقدد حدد "موريس أونجار" (Maurice Angers) عدة مصادر يمكن أن يختار الباحث منها موضوع بحثه، وهي[2]:

1- التجارب والخبرات المعاشة.

2- الرغبة في الإفادة.

3- ملاحظة المحيط.

4- تبادل الأفكار.

5- الأبحاث السابقة.

---

[1] - Maurice Angers, op.cit, p. 77.

[2] - Ibid, pp. 78-80.

ويمكن أن نضيف إلى هذه المصادر الطلب الخارجي، أي أن يكون اختيار موضوع البحث ليس من عند الباحث ولكن من طرف مؤسسة أو هيئة تريد الاستفادة من خبرة الباحث في معالجة مشكلة ما أو دراسة ظاهرة ما.

ولكن عملية الاختيار هذه ليست مطلقة أو جزافية، فهناك هناك جملة من الأسئلة يجب على الباحث أن يجيب عنها عند اختيار مشكلة بحثه، وهي[1]:

1- هل تستحوذ المشكلة على اهتمام الباحث؟

2- هل هي مشكلة جديدة؟

3- هل ستضيف الدراسة المبذولة إلى المعرفة شيئاً؟

4- هل يستطيع الباحث القيام بالدراسة المقترحة؟

5- هل المشكلة نفسها صالحة للبحث والدراسة؟

6- هل سبق لباحث آخر أن قام بهذا البحث؟

إضافة إلى هذه الأسئلة فهناك جملة من الاعتبارات التي يجب على الباحث مراعاتها عند الاختيار، وهي تسمى بمحددات عملية اختيار موضوع البحث، وتتمثل فيما يلي[2]:

- الوقت المخصص للبحث.
- الموارد المتاحة.
- القدرة على الوصول إلى المعلومات.
- درجة التعقيد.
- وعي فريق البحث وتصوراتهم.

---

[1] - أحمد بدر، المرجع السابق، ص ص 90-94.

[2]- Maurice Angers, op.cit, pp. 81-84.

وعند اختيار موضوع البحث يجب على الباحث أن يراعي مدى وجود الموضوع في الواقع أو في الميدان الذي يريد أن يدرس فيه الموضوع، فإذا أخذنا على سبيل المثال دراسة الآثار الاجتماعية للزواج العرفي في المجتمع المحلي بأدرار، فهذا الموضوع لا يمكن دراسته ميدانياً، لأن هذا النوع من الزواج غير موجود في هذا المجتمع.

وكذلك على الباحث أن يتأكد من إمكانية دراسة الموضوع في هذا الواقع، وذلك سواءً من حيث مراعاة تجاوب البحوثين معه أو من حيث قدرته على الوصول إلى البيانات الميدانية والإحصائيات الرسمية المتعلقة بالموضوع، فأحيانا قد يكون الموضوع من الطبوهات في المجتمع كأن يتعلق بمواضيع يستحيي المبحوثين من الاجابة فيها على أسئلة الباحث، أو قد يكون الموضوع ذو مساس بأمن الدولة أو بأصحاب القرار فيها، وفي كلا الحالتين قد يصعب على الباحث دراسة الموضوع.

وغالباً ما يتأثر الطلاب والدارسون بالكتب وبالدراسات الميدانية التي أجريت في بعض المجتمعات الأخرى، ويحاولون دراسة نفس المواضيع في واقعهم، ومن هنا فلا بد عليهم التأكد من وجود الموضع في واقعهم*.

وهكذا فلا بد عند اختيار موضوع البحث أن نراعي مدى وجود هذا الموضوع في الواقع وإلا فإننا سوف نبحث عن سراب أو شيء لا وجود له، هذا دون أن ننسى أن ملاحظة الواقع والاحتكاك به قد تكون أصلا مصدراً لاختيار موضوع البحث كما هو محدد في المصادر التي ذكرها "موريس أونجار" لاختيار موضوع البحث.

---

* - من بين النصائح التي يقدمها (Asti Veva) في اختيار موضوع البحث، أنه يجب الانطلاق من الاتصال الحميم بالواقع الاجتماعي. للاطلاع أكثر أنظر: فضيل دليو، أسس البحث وتقنياته في العلوم الاجتماعية: 130 سؤالاً وجواباً، ديوان المطبوعات الجامعية، المطبعة الجهوية بقسنطينة، دون ذكر تاريخ النشر، ص 17.

**2 – مرحلة تحديد الإشكالية:**

إن إشكالية البحث أو مشكلة البحث كما يسميها البعض هي القضية الجوهرية التي يريد الباحث دراستها وكشف الغموض عنها وإيجاد تفسيرها.

ويعرفها "موريس أونجار" بأنها: " أي شيء يكون محل تساؤل أو أي شيء يمكن دراسته"[1]، كما يشير أيضا بأن "الموضوع يصبح مشكلة بحث عندما نصيغه في شكل سؤال أو عدة أسئلة نسعى لتوضيحها والبحث عن إجابات لها في الواقع"[2].

وإشكالية البحث قد تعبر عن ظاهرة مرضية موجودة في المجتمع مثل السرقة، أو قد تكون عبارة عن ظاهرة سوية مثل علاقة الحوافز بالإنتاجية.

ويجب على الباحث أن يقوم بتحديد الإشكالية بشكل جيد، ويقصد بتحديد المشكلة (la précision du problème): "عرض هدف البحث في شكل سؤال يتضمن إمكانية إجراء استقصاء لإيجاد إجابة له"[3].

ويتم تحديد المشكلة من خلال الإجابة عن السؤال الذي مؤداه: ماذا أدرس؟ أي ما هي الجوانب التي أدرسها في الموضوع العام الذي قمت باختياره، وهذا حتى يعرف الباحث بدقة عما يبحث؟ وفي هذا السياق يقول 'جاستون باشلارد': "إذا كنا لا ندري عن أي شيء نبحث، فإننا لا ندرك حقيقة ما نعثر عليه"[4].

وهكذا فإن غاية تحديد الإشكالية هي "فهم الموضوع وتحديد مسار البحث وتوجيهه للوصول الى حقيقة محددة، أي أنه دون تحديد الإشكالية لا يمكن رسم حدود الموضوع"[5].

---

[1]- Maurice Angers, op.cit, p. 47

[2]- Ibid, p. 94.

[3]-Ibid , op.cit, p. 94

[4]- Jean. Claude Rouveyran, Mémoires et thèses: l'art et les méthodes, la Rose, Paris,1989, p..39.

[5] - خالد حامد، منهج البحث العلمي، دار ريحانة للنشر والتوزيع، القبة، الجزائر، 2003، ص 91.

ولكن هل تحديد إشكالية البحث يتم دون ضوابط أو خيوط إرشادية؟

في الواقع لقد حاول "موريس أونجار" أن يحدد أربعة أسئلة مفتاحية لمساعدة الباحث على تحديد مشكلة بحثه، وهي [1]:

1. لماذا تهتم بهذا الموضوع؟
2. إلى ما تتطلع للوصول إليه؟
3. ماذا تعرف فعلا حول هذا الموضوع؟
4. ما هو سؤال البحث الذي سوف نطرحه؟

وتتكون إشكالية البحث من المتغيرات المراد معرفة تأثيرها أو علاقتها ببعضها البعض، وعلى هذا الأساس فلا بد على الباحث أن يبرز هذه المتغيرات في تحديد وصياغة الإشكالية.

وبعد تحديد الاشكالية يقوم الباحث بصياغتها، وهي خطوة مهمة في توضيح الإشكالية وتحديد معالمها سواء بالنسبة للباحث أو القاريء، حيث يجب صياغتها بعبارات واضحة ودقيقة ومفهومة ومعبرة عن متغيرات الدراسة. وحسب "موريس أونجار" فإن "صياغة الإشكالية تقود إلى إعلان سؤال حول واقع نريد معرفته"[2].

وهنا يتضح لنا الترابط بين صياغة الاشكالية والواقع، أي أن الصياغة يجب أن تعبر عن شيء موجود في الواقع وليس شيء فلسفي أو خيالي.

من خلال ماسبق فيجب على الباحث أن يقوم بتحديد وصياغة إشكالية بحثه بشكل يمكن من بحثها ودراستها في الميدان، أي إشكالية لها وجود في الواقع، هذا دون أن تنسى أن الواقع يساعد الباحث في تحديد وضبط الإشكالية وذلك من خلال استطلاعه.

---

[1] - Maurice Angers, op.cit, pp. 94-95.

[2]- Ibid, p. 47.

**3 – مرحلة طرح سؤال الانطلاق:**

يعتبر سؤال الانطلاق بمثابة الخط الموجه للباحث نحو تحقيق الهدف من البحث، ويحفظه من الخروج عن أهداف بحثه، ويمنعه أيضا من إضاعة وقته وجهده فيما لا يخدم بحثه.

فبعد أن يقوم الباحث بتحديد وصياغة الإشكالية، يقوم بطرح سؤال الانطلاق الذي هو عبارة عن ترجمة للإشكالية في شكل سؤال عام رئيسي يحاول البحث برمته الإجابة عنه.

وعند صياغة سؤال الانطلاق لا بد من مراعاة الواقع، أي لا بد أن يكون السؤال واقعي، ومعنى ذلك أن يعبر السؤال عن أشياء واضحة وموجودة في الواقع، مثل ما علاقة البطالة بالجريمة؟

وأن يكون بالإمكان الإجابة عن هذا السؤال من الواقع، أي من خلال معطيات ميدانية موجودة فعلاً.

**4– مرحلة اختيار النظرية:**

تعرف النظرية بأنها "مجموعة من القضايا والتعميمات التفسيرية"[1]، أي أن النظرية تتكون من مجموعة من المفاهيم والقضايا المنطقية التي تقدم تفسيرا لظاهرة ما، وهذه النظرية تم التوصل إليها عن طريق البحث والدراسة والإثبات والتعميم.

---

- حول خصائص سؤال الانطلاق، أنظر:

- بلقاسم سلاطنية، محاضرات في المنهجية: دعم بيداغوجي لطلاب علم الاجتماع، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، 1999، ص ص11 – 20.

– بلقاسم سلاطنية، محاضرات في المنهجية: دعم بيداغوجي لطلاب علم الاجتماع– السنة الثالثة، مطبوعات جامعة محمد خضير بسكرة، الجزائر، 2003–2004، ص ص 11– 23.

[1] - خالد حامد، المرجع السابق، ص.75.

وتعتبر النظرية شيء مهم وأساسي في أي بحث، ومن ثم فهي ليست شيء فلسفي غير حقيقي أو شيء غير عملي لا طائل منه، وعلى هذا الأساس يجب على الباحث أن يدرك أهمية النظرية ودورها في عملية البحث.

فالنظرية "تقدم لنا مفاهيم ومقاربات لشرح وفهم مشكلة البحث"[1]، وتقدم "إطارا مرجعيا للباحث يبني على أساسه ملاحظاته أولاً وتفسيراته ثانياً"[2]، كما أنها "توضح علاقة الأثر والسبب بين المتغيرات وذلك بهدف شرح أو التنبؤ بظواهر معينة"[3].

وتأكيدا على أهمية النظرية تشير العالمة "ليكرت" (Likert) إلى أنه " لا شيء أنفع من النظرية الجيدة"[4].

وتحقق النظرية بالنسبة للباحث هدفين متكاملين هما[5]:

- توجيه الباحث وتحديد مساره بما يمكن من اختيار البيانات والمعلومات الملائمة.
- مساعدته على فهم وتفسير موضوع البحث.

وعلى هذا الأساس تبدو لنا أهمية ربط موضوع البحث بإطار نظري ملائم.

وهناك اتجاهين مهمين يمكن من خلالهما الكشف عن علاقة الميدان بالنظرية في اطار البحث الميداني هما[6]:

---

[1] - Maurice Angers, op.cit, p. 94.

[2] - Riadh Zghal, Méthodologie de recherche en sciences sociale, édition C.L. E, Tunis, 1992, p.18

[3] - أحمد بدر، المرجع السابق، ص 107 (بتصرف).

[4] - Riadh Zghal, op.cit, p.18.

[5] - خالد حامد، المرجع السابق، ص.75.

[6] - لعت ابراهيم لطفي و كمال عبد الحميد الزيات، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، دون ذكر تاريخ النشر، ص 49 (بتصرف).

- الاتجاه الاول ويتمثل في تطبيق الاسس والفروض النظرية على البحث الميداني، أي بمعنى قد تتجه الدراسة الميدانية الى التعميم المنهجي في ضوء نظرية محددة المعالم لاختبار قضاياها والتحقق من مدى صدقها لكي تؤكدها او تنفيها او تضيف اليها شيئا جديدا.

- الاتجاه الثاني ويتمثل في تطبيق الشواهد والنتائج الميدانية على النظرية، أو بمعنى آخر قد تتجه الدراسة الميدانية الى النزول الى الميدان لاختبار الفروض والقضايا أولا ثم التوصل الى نتائج نظرية في ضوء المشاهدات الواقعية.

وهكذا في كلا الحالتين فاننا نحتاج الى التعامل مع الميدان سواء لبناء النظرية أو للتحقق منها.

وبالرجوع إلى مقولة العالمة "ليكرت" نستشف بأن هناك نظريات جيدة ونظريات غير جيدة، فكيف للباحث أن يميز ويختار النظرية الجيدة دون سواها؟

لا شك أن النظرية الجيدة هي النظرية التي تستطيع توجيه الباحث وإرشاده نحو المعطيات الصحيحة، والتي تقدم له تفسيرا منطقيا وواقعيا للظاهرة أو المشكلة المدروسة. وهذه النظرية الجيدة يسميها "الدكتور أحمد بدر" بالنظرية الأفضل، أي تلك التي "تقدم شرحاً أكثر منطقية للخصائص والوقائع التي نلاحظها"[1].

ومن هنا فيجب على الباحث أن يختار النظرية التي تتماشى مع الواقع وتستطيع تفسيره، فمثلاً إذا تبنى الباحث النظرية الماركسية لتفسير التغير الاجتماعي الواقع في المجتمع الجزائري، والتي تفسره على أساس نتاج لعملية الصراع الطبقي، فإن هذا التفسير لا يصدق ولا يمكن الاعتماد على هذه النظرية لتفسير هذا

التغير الواقع في المجتمع الجزائري، لأنه لم يحصل نتيجةً للصرع الطبقي وإنما جاء نتيجة لتبني نظام اقتصادي جديد هو الاقتصاد الحر وتبني التعددية السياسية، فلو اعتمدنا على

[1] - أحمد بدر، المرجع السابق، ص.108.

النظرية الماركسية فيفترض أن المجتمع الجزائري قد انتقل نحو الاشتراكية ثم الشيوعية وليس العكس كما حدث في الواقع أي نحو الرأسمالية.

وهكذا فلابد من مراعاة المجتمع أو الواقع وخصوصياته ومن ثم نختار النظرية الأكثر ملائمة لتفسيره.

وفي الأخير فيجب ألا نغفل عن قضية مهمة وهي أن الفرضية التي ينطلق منها الباحث قد تصبح نظرية في النهاية إذا ثبتت صحتها، أي أننا لا نهمل كيفية التعامل مع الواقع وتكوين الفرضيات المتماشية معه في بناء النظريات، وذلك عن طريق التأكيد على العلاقة الجدلية بين النظرية والواقع، حيث أننا ننطلق من النظرية لتفسير الواقع وننطلق من الواقع لصياغة وبناء النظريات.

### 5 – مرحلة صياغة الفرضيات:

تعرف الفرضية بأنها:" تخمين أو استنتاج ذكي يصوغه ويتبناه الباحث مؤقتا لشرح بعض ما يلاحظه من الحقائق والظواهر، وليكون هذا الفرض كمرشد له في البحث والدراسة التي يقوم بها"[1].

ويعرفها "موريس أونجار" بأنها: "إجابة مقترحة عن سؤال البحث"[2]، كما يعرفها أيضا بأنها: "عبارة عن نص (énoncé) يتوقع وجود علاقة بين أثنين أو أكثر من المفاهيم، ويتضمن تحقيق ميداني (une vérification empérique)"[3]

ولا شك أن النقطة المهمة في تعريف "موريس أونجار" للفرضية هي النقطة الأخيرة والمتمثلة في التحقيق الميداني، أي أن الفرضية يجب أن تتضمن تحقيق ميداني.

---

[1] - نفس المرجع، ص 99.

[2]- Maurice Angers, op.cit. p 102.

[3]-Maurice Angers, op.cit, p. 102 .

والتحقيق الميداني حسب "موريس" هو: "خاصية من خصائص البحث العلمي تتكون من أجل مواجهة الافتراضات مع الواقع عن طريق ملاحظة هذا الأخير (الواقع)" [1]، أي أن التحقيق يقوم على أساس اختبار الفرضيات في الواقع.

وبشكل عام فإن الفرضية هي حل مؤقت لإشكالية الدراسة، أو هي إجابة مؤقتة عن سؤال الانطلاق، وتصاغ الفرضية في شكل جملة تقريرية تحمل تفسير مؤقت للظاهرة وتعبر عن العلاقة المحتملة بين المتغيرات المدروسة والمكونة لمشكلة الدراسة.

وتأتي الفرضية من خلال ملاحظة الواقع أو الظاهرة المدروسة*، أي أن تكوين الفرضيات يأتي من مشاهدة الواقع، وهكذا تظهر لنا أهمية الواقع في بلورة الفرضيات.

ومن جهة أخرى فيجب على الباحث أن يراعي الواقع عند صياغته للفرضيات، أي أن يختار فرضيات قابلة للاختبار**، أي يمكن اختبارها في الميدان. ذلك أن الفروض الفلسفية والقضايا الأخلاقية والأحكام القيمة يصعب بل يستحيل اختبارها في بعض الأحيان***،

---

[1]- Ibid, p. 102.

* - يشير بعض الباحثين إلى أن "فكرة تكوين الفروض تبدأ في وقت الملاحظة نفسها"، **أنظر**: الهادي خالدي وعبد المجيد قدي، المرشد المفيد في المنهجية وتقنيات البحث العلمي، دار هومة، الجزائر، 1996، ص 58.

** - من شروط الفرضية أن تكون قابلة للاختبار، أنظر على سبيل المثال:

- عثمان حسن عثمان، المنهجية في كتابة البحوث والرسائل الجامعية، منشورات الشهاب، باتنة، 1998، ص 23.

- رشيد زرواتي، تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، دار هومة، الجزائر، ط1، 2002، ص 94، 95.

*** - هذا مايؤكده بعض الباحثين، أنظر على سبيل المثال: أحمد بدر، المرجع السابق، ص 104.

فالفرضية حسب " الدكتور عبد الغني عماد" " ليست تخمينا نظريا أو خياليا، انها تقدير مبني على الملاحظة العلمية والتجارب والمشاهدات والدراسة والمعرفة"[1].

بالاضافة الى ماسبق فان الفرضية في حد ذاتها كما يقول "موريس أونجار" هي: "وسيلة للاختبار الميداني"[2]. أي بواسطتها يتم التعامل مع الميدان من خلال اختبار صحتها، فنحن لماذا نذهب للميدان؟ إننا نذهب من أجل اختبار الفرضيات واثبات مدى صحتها أو خطئها.

وحول اختبار الفرضيات في الواقع يقول "إمورق وكوبر" (Emorg and Cooper) بأن: "الباحثون يستولون بالفرضيات على أن بعض الشروط التي يجب أن تكون موجودة في الواقع، والتي من خلالها يتم قياس الفرضيات، فإذا اعتبر أن هذه الشروط لا تعزز الفرضيات فيستخلص بأن هذه الفرضيات خاطئة"[3].

وهكذا فان الميدان هو المحك الذي نختبر فيه صحة الفرضيات (ولكن يجب أن يتم ذلك بموضوعية)، فاذا أثبت الباحث خطئها فعليه أن يبحث عن فرضيات جديدة.

إذن يجب على الباحث ان يصيغ الفرضيات بشكل يجعل من الممكن ملاحظتها واختبارها، وهذا مايؤكده "الدكتور عبد الغني عماد" بقوله:" لما كانت الفرضية هي المنطلق الاساسي للتجريب، فعلى الباحث ان يعبر عنها بشكل قابل للملاحظة. وهذا يعني الاستدلال من خلالها-مباشرة او غير مباشرة – على نمط المعلومات التي يجب جمعها، والعلاقات التي

---

[1] - عبد الغني عماد، البحث الاجتماعي: منهجيته- مراحله- تقنياته، منشورات جروس برس، لبنان، ط1، 2002، ص 44.

[2]- Maurice Angers, op. cit. p. 102

[3]- C. William Emorg & Donald R. Cooper, op. cit. p.177.

يجب توقعها ورصدها ما بين هذه المعطيات، حتى يعرف الباحث الى أي مدى يمكن ان تثبت مصداقيتها في الواقع، وهذه المواجهة بين الفرضية والواقع تسمى التحقق الميداني"[1].

من خلال ماسبق؛ فلا بد على الباحث أن يراعي الواقع عند صياغة الفرضيات، سواءً قبل الصياغة أي الانطلاق من الواقع عند صياغتها( فرضيات من الواقع وتعبر عنه)، أوبعد صياغتها وهذا لاختبارها، أي فرضيات قابلة للاختبار في الميدان.

ونشير بأننا سبقنا مرحلة اختيار النظرية على مرحلة صياغة الفرضيات لأن النظرية قد تكون في بعض الأحيان مصدرا للفرضيات.

**6- مرحلة التعريف الإجرائي للمفاهيم:**

بشكل عام عندما يقوم الباحث بدراسة اشكالية معينة فعليه إعطاء تعاريف إجرائية للمفاهيم المفتاحية التي يعتمد عليها في توجيه وانجاز بحثه، ولكن لتعريف المفاهيم إجرائيا لابد من معرفة المقصود بالمفاهيم والمتغيرات؟

المفهوم هوعبارة عن تجريد الواقع تحت رمز معين أو هو عبارة عن مز يعبر عن شيء موجود في الواقع، مثل الطاولة فهو مفهوم يعبر عن شيء مادي موجود في الواقع، وكذلك مفهوم الطبقة الاجتماعية فهي أيضا تعبر عن شريحة اجتماعية موجودة في المجتمع.

أما المتغير (Variable) فهو عبارة عن "خصائص لأشخاص أو أشياء أو مواقف مرتبطة بمفهوم معين ويمكن أن تأخذ قيم متنوعة"[2]، أي أن المتغير عبارة عن مفهوم يأخذ قيم متغيرة، مثل الجنس فهو يأخذ قيمتين: ذكروأنثى.

والمفهوم لا بد له من تعريف مفهومي وتعريف اجرائي، فالتعريف المفهومي يتم من خلال التعريف الاصطلاحي والعلمي للمفهوم أي من خلال تعريف العلماء والمختصين له،

---

[1] - عبد الغني عماد، المرجع السابق، ص 47.

[2]- Maurice Angers, op.cit. p 117

وهو عبارة عن تعريف نظري ومجرد يعرضه الباحث من أجل توضيح المفهوم وإزالة الغموض عنه.

أما التعريف الاجرائي للمفهوم فهو مرتبط بالواقع، ولكن قبل أن نتحدث عنه لا بد من توضيح المقصود بالاجرائية؟

تعرف الإجرائية (Opérationnalisation) بأنها:" عملية جعل سؤال البحث حسياً من أجل جعله قابلاً للملاحظة أو المشاهدة"[1]، أي تحويل سؤال البحث إلى شيء ملموس ويمكن ملاحظته في الواقع وذلك من خلال تحديد مؤشرات يستدل بها على الظاهرة المدروسة ويمكن قياسها بواسطتها.

أما التعريف الإجرائي فهو عبارة عن: " دلالة إمبريقية محددة بواسطة قواعد الاتصال أو الارتباط التي تصل أوتربط المفهوم بالأفعال أو الوقائع المشاهدة، هذه القواعد تطرحم الى إجراءات لأجل القيام بالملاحظات الخاصة المشكلة أو المكونة للدليل الإمبريقي لإستعمال هذا المفهوم"[2].

كما يعرف بأنه: "التعبير عن مفهوم معين بطريقة تبين كيفية قياسه"[3].

إذن المقصود بالتعريف الإجرائي للمفاهيم هوتطويع المفاهيم النظرية المجردة للواقع المراد دراسته، أي الانتقال من العالم المجرد إلى العالم الواقعي المشاهد، وبمعنى آخر تحويل تلك المفاهيم النظرية إلى أشياء موجودة في الواقع يمكن ملاحظتها وذلك من خلال تحديد مؤشرات لها.

---

[1]- Maurice Angers, op.cit , p. 102.

[2] - Riadh Zghal, op.cit, p. 25.

[3] – بلقاسم سلاطنية و حسان الجيلالي، محاضرات في المنهج والبحث العلمي، الكتاب الثاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 155.

وللقيام بالتعريف الاجرائي للمفاهيم أو المتغيرات لا بد من تحديد أبعاد ومؤشرات لها حتى يمكن ملاحظتها والاستدلال بها عليها في الواقع العملي، ويعرف البعد (Dimension) بأنه "مركب أو جانب من مفهوم معين يشير إلى مستوى من واقعية هذا المفهوم"[1]، مثل مفهوم الحوافز له بعد مادي وبعد معنوي.

أما المؤشر (Indicateur) فيعرف بأنه: "عنصر لمفهوم ما ملاحظ أو مشاهد في الواقع"[2].

كما يعرف بأنه: " القيم التي تسمح لنا بتقريب الواقع من المفاهيم التي هي غير قابلة للقياس المباشر، فهي عبارة عن المعطيات الواقعية الدالة على مفاهيم نظرية مفترضة"[3].

ففي مثال الحوافز يمكن أن تعتبر علاوة المردودية مؤشرا للحوافز المادية(البعد المادي)، وتعتبر منح شهادة تقديرية مؤشرا على الحوافز المعنوية (البعد المعنوي).

وللاشارة فليست جميع المفاهيم لها أبعاد متعددة بل هناك مفاهيم لها بعد واحد ومفاهيم لها مؤشر واحد

مثل: مفهوم الشيخوخة له بعد واحد وهو مؤشر في نفس الوقت وهو السن.

وكمثال لما سبق يمكن تعريف مفهوم السلوك الانحرافي في العمل إجرائياً بأنه: ذلك السلوك غير السوي في مجال العمل والذي يأخذ الصور التالية: التغيب، التأخر عن مواعيد العمل، تبذير مواد العمل، تعمد ارتكاب الأخطاء، التماطل في أداء العمل، وهذه عبارة عن مؤشرات يستدل بها على السلوك الانحرافي ويتم قياسه بواسطتها.

وهكذا فان التعريف الاجرائي يرتبط بما سيدرسه الباحث في الواقع وبما يلاحظه ويشاهده حقيقة.

---

[1] - Maurice Angers, op.cit., p. 110.

[2] -Ibid, p. 111.

[3]– بلقاسم سلاطنية و حسان الجيلالي، المرجع السابق، ص 175.

وهناك ترابط كبير بين الواقع والمفاهيم وهذا مايؤكده "لازرز فيلد" (Lazarsfeld) بقوله: "الجوانب المختلفة للواقع تشكل أبعاد أو مكونات المفهوم"[1].

وعلى هذا الأساس يجب على الباحث أن يراعي الواقع عند التعريف الإجرائي لمفاهيم الدراسة، أي متغيرات الدراسة، وذلك بأن يعرفها وفق مؤشرات يمكن قياسها في الواقع العملي.

وما يجب التأكيد عليه في هذا الشأن هو أن " كل نظرية علمية تتضمن بشكل ضروري مفاهيم لها علاقة مع الملاحظة الامبريقية"[2]، أي مع ملاحظة الواقع المدروس والمشاهد، ولا يتأتى ذلك الا من خلال التعريف الاجرائي للمفاهيم الذي يتيح لنا الاتصال بالواقع وملاحظته.

ومما تجدر الإشارة إليه في النهاية أن التعريف الإجرائي للمفاهيم والتحديد الجيد للمؤشرات يساعد بشكل مباشر في تصميم أدوات جمع البيانات خاصة كل من المقياس والاستمارة ودليل الملاحظة والمقابلة.

**7- مرحلة اختيار المنهج الملائم:**

يعرف المنهج العلمي بأنه " الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة"[3].

---

[1]- Maurice Angers, op.cit, p. 110.

[2]- Riadh Zghal, op.cit, p. 25.

[3] - عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1963، ص 5. نقلا عن: أحمد بدر، المرجع السابق، ص 33.

كما يعرف بأنه "مجموعة المباديء أوالخطوات المنظمة التي يتبعها الباحث من أجل الوصول إلى النتيجة العلمية أو البرهنة عليها"[1].

ويقول "مورسي أونجار" بأن منهج البحث هو "إجابة عن السؤال الذي مؤداه كيف يمكن تحقيق الأهداف؟"[2]

أي كيف السبيل إلى تحقيق أهداف البحث والدراسة، ومن هنا فالمنهج مرتبط بالطريقة التي يجب اتباعها لمعالجة مشكلة البحث.

ويعتبر المنهج العلمي مسألة أساسية وضرورية لأي بحث في أي علم من العلوم، وذلك لأن "أي معرفة لا تصبح حقيقة علمية إلا بالإعتماد على منهج علمي محدد من أجل الوصول اليها والبرهنة عليها"[3].

ومناهج البحث متعددة ومتنوعة*، وعلى الباحث أن يختار المنهج المناسب لبحثه سواء من حيث طبيعة الاشكالية المدروسة أو من حيث طبيعة الواقع المدروس.

فالواقع المدروس يفرض على الباحث قيود معينة يجب مراعاتها أثناء اختيار المنهج، لأنه السبيل الوحيد الى التعامل مع هذا الواقع ومن ثم جمع البيانات وتحليلها وتفسيرها، ذلك

---

[1] - حامد خالد، المرجع السابق، ص 23.

[2]- Maurice Angers, op.cit., p75

[3] - حامد خالد، المرجع السابق، ص 24.

* - للاطلاع أكثر حول أنواع مناهج البحث أنظر على سبيل المثال: - أحمد بدر، المرجع السابق، ص 233-282، وكذلك: حامد خالد، المرجع السابق، ص ص 31-65. وكذلك: رشيد شميشم، مناهج العلوم القانونية، دار الخلدونية، الجزائر، 2006، ص ص 127- 192. وكذلك: عمار عوابدي، مناهج البحث العلمي وتطبيقاتها في ميدان العلوم القانونية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 3، 1999، ص ص 151-294

لأن المنهج هو جملة من الخطوات والاجراءات التي ترافق وتوجه عملية البحث منذ بدايتها وحتى نهايتها.

وإذا كان التعامل مع الواقع لا يتم إلا بواسطة المنهج أوبالاعتماد عليه فعلى الباحث أن يأخذ بعين الاعتبار هذا الواقع أثناء اختيار المنهج وأثناء تطبيقه.

فاذا كنا مثلا بصدد دراسة ظاهرة التسرب المدرسي وعلاقتها بالتربية الأسرية في ولاية أدرار فاننا هنا سوف نستخدم المنهج الوصفي لأنه الأنسب، فإننا سنتساءل: هل سنجري مسحا شاملا؟ أم مسحا بالعينة؟ أم سنأخذ حالات دراسية؟

واذاكانت الاسئلة السابقة غير مزعجة كثيرا فان المشكلة تتعلق بقدرة الباحث على تطبيق المنهج الوصفي ودراسة الموضوع في مجتمع أدرار، وهنا نتساءل حول مدى قدرة الباحث على التعامل مع المبحوثين؟ وقدرته على جمع البيانات؟ وقدرته على تحليلها وتفسيرها والاجابة عن الإشكالية المطروحة؟

ان اختيار المنهج مسألة مهمة وحساسة، لأن المنهج يجب أن ينسجم مع طبيعة البحث أو الدراسة المراد إجراؤها، لذلك يشير "جون كلود كومبيسي" الى أن "اختيار المنهج يندرج ضمن إستراتيجية البحث"[1]، وعلى هذا الأساس فاذا أردنا القيام بدراسة نظرية فلا بد من اختيار المنهج الملائم لذلك، وإذا أردنا القيام بدراسة ميدانية فلا بد من اختيار المنهج الملائم لذلك أيضا.

من خلال ماسبق لا بد على الباحث من مراعاة الواقع عند اختيار منهج البحث وعند تطبيقه.

[1]- Jean Claude Combessie, op.cit, p 9.

**8 – مرحلة تصميم البحث:**

يعرف تصميم البحث (Research Design) بأنه: "خطة وهيكل الاستقصاء من أجل الوصول إلى إجابات عن أسئلة البحث"[1].

وهناك جملة من الخصائص التي يجب توضيحها حول تصميم البحث، تتمثل في الآتي[2]:

–التصميم هو خطة لجمع المصادر وأنواع المعلومات المتعلقة بسؤال البحث.

–هو إطار لتحديد العلاقات بين متغيرات الدراسة.

–هو مخطط عمل تفصيلي لتلخيص جميع الإجراءات بداية من الفرضيات حتى تحليل البيانات.

إذن فالتصميم هو الخطة العامة للبحث التي تبين كيفية القيام به من البداية حتى النهاية، وعليه فأثناء إعداد الخطة لا يجب إهمال الميدان أو الواقع الذي سوف نتعامل معه لإنجاز البحث والإجابة عن تساؤلات الدراسة، فالتخطيط شيء مهم في البحث؛ حيث أننا نقوم بالتخطيط والإعداد لعملية البحث وتنظيم مراحله وحصر وتقدير الإمكانيات والموارد اللازم توفيرها لإنجاز كل مرحلة من مراحله، هذا بالإضافة إلى تقدير الوقت اللازم لإنجاز كل مرحلة ولإنجاز البحث كله.

ويتم إعداد التصميم من أجل الإجابة على كل سؤال من الأسئلة التالية[3]:

1- ما هي التقنيات التي سوف تستخدم لجمع البيانات؟

2- ما هو نوع العينة التي سوف تستخدم؟

3- كيف سيتم التعامل مع تحديات الوقت والتكاليف؟

---

[1]- C. William Emory and Donald R. Cooper, op.cit, p. 138.

[2]- Ibid, p. 138.

[3]- C. William Emory and Donald R. Cooper, op.cit, p. 139.

من خلال هذه الأسئلة الضرورية لتصميم البحث يتضح أنه على الباحث عند التصميم أن لا يهمل الإمكانيات المتاحة له المادية(الوسائل والمعدات) منها والبشرية والمالية، وكذلك المدة الزمنية المخصصة لإنجاز البحث، بالإضافة إلى الميدان الذي سوف يتعامل معه وما يتطلبه هذا التعامل من وقت وموارد وتكاليف ومعدات.

إذن على الباحث أن يوضح في الخطة أو في برنامج العمل متى سينزل إلى الميدان لجمع البيانات وكم سيلزم ذلك من الوقت والتكاليف وكيف يمكن التعامل معها، وهذا مرتبط بتحديد نوع التقنيات اللازمة والملائمة لجمع البيانات ضمن حدود الوقت والتكاليف، وكذلك تحديد فيما إذا كان سيتم إجراء مسح شامل لمجتمع الدراسة أو الاكتفاء بدراسة عينة ممثلة، وفي حالة اختيار عينة ما هو حجم هذه العينة وما هو نوعها.

**9 – مرحلة اختيار مجتمع الدراسة:**

يعتبر مجتمع الدراسة المصدر الرئيسي للبيانات الأولية أو البيانات الميدانية، وهو يتكون من جميع المبحوثين ذوي العلاقة باشكالية الدراسة، والباحث إما يجري الدراسة على المجتمع بأكمله(مسح شامل)، وإما يكتفي بدراسة عينة أو حالة منه*.

ويلجأ الباحث إلى العينة عندما يتعذر عليه إجراء مسح شامل للمجتمع المدروس، وإن تقرير دراسة المجتمع أو أخذ عينة أو حالة منه يخضع لمحددات يفرضها الواقع المدروس وخصائصه.

فالواقع المدروس وخصائصه هي التي تفرض على الباحث القيام بمسح شامل له أو الإكتفاء بدراسة عينة أو حالة فقط منه، ومن هذه الخصائص: مدى تجانس مفردات المجتمع، حجم المجتمع، مدى تقارب أفراده من حيث المسافة. فهذه الاعتبارات الموجودة في الواقع

---

* - هناك نوعين من البيانات: البيانات الأولية ويحصل عليها الباحث من المبحوثين، والبيانات الثانوية ويحصل عليها الباحث من المراجع والمصادر.

يتعين على الباحث أن يراعيها لتحديد مصدر جمع البيانات الميدانية، أي هل سيدرس المجتمع كاملاً أم يكتفي بأخذ عينة فقط؟ وإذا كان سيأخذ عينة منه، فكيف سيقوم بسحب هذه العينة؟

فطريقة سحب عينة من مجتمع المجرمين أو المدمنين على المخدرات** تختلف عن طريقة سحب عينة من مجتمع العمال في مصنع معين أو من طلبة الجامعة*** وغير ذلك.

إذن فالواقع لا بد من مراعاته لأنه يحدد مصدر جمع المعلومات الميدانية، ويحدد لنا أيضاً طريقة التعامل معه.

**10 – مرحلة اختيار وتصميم أدوات جمع البيانات:**

إن أدوات جمع البيانات متعددة ومتنوعة*، ولكن يجب على الباحث أن يختار الأداة أو الأدوات التي تمكنه من جمع البيانات من الميدان، وعلى هذا الأساس فلا بد للباحث أن يراعي خصوصيات المبحوثين باعتبارهم جزء من الواقع المدروس عند اختيار أدوات جمع البيانات، فإذا كانوا على سبيل المثال أميين فلا يطبق أداة الاستمارة وعليه تطبيق المقابلة أو الملاحظة بالمشاركة، أي ضرورة إختيار الأداة القادرة فعلا على جمع البيانات من الواقع.

إذن فخصوصيات الواقع المدروس تفرض على الباحث اختيار الأدوات اللازمة لجمع البيانات.

---

** - تستخدم في هذه الحالة عينة كرة الثلج.

*** - تستخد في هذه الحالة العينة العشوائية البسيطة أو المنتظمة.

* - للإطلاع أكثر حول أدوات جمع البيانات أنظر على سبيل المثال: رشيد زرواتي، المرجع السابق، ص.ص 123-156.

**11- جمع البيانات:**

هي عملية الحصول على البيانات من المبحوثين، ولا بد على الباحث أن يراعي خصوصيات المبحوثين ليتمكن من جمع بيانات موضوعية (حقيقة)، ومن بين هذه الخصوصيات مستواهم العلمي وطبيعتهم أي هل هم أشخاص عاديين أم مدمنين إذا كان البحث حول الإدمان أو مجرمين إذا كان البحث حول ظاهرة الإجرام وغير ذلك، وهذا بالإضافة إلى خلفيتهم الفكرية حول الموضوع المدروس.

وهنا يجب التأكيد على أن التعامل مع المبحوث هو عبارة عن موقف اجتماعي ونفسي يتفاعل فيه شخصان مختلفان في الخلفيات الفكرية وفي المستوى العلمي وفي الأهداف وفي المظهر وغير ذلك، لذا يجب على الباحث أن يولد جواً من الثقة لدى المبحوث حتى يضمن التفاعل بشكل إيجابي من جانبه والتجواب معه، كما يجب عليه أن يتكلم معه بلغة بسيطة مفهومة وليس بلغة علمية معقدة، كما يجب أن يظهر بمظهر مقبول أو مألوف لدى البحوث مثلا إذا كان المبحوث من الطبقات الفقيرة فلا يجب على الباحث أن يلبس زي الأرستقراطيين لأن ذلك سوف يؤثر على عملية التواصل بينهما، كما يجب على الباحث عدم التعامل مع المبحوث كالشرطي أو الدخول في أموره الخاصة بل يجب التقيد بحدود الدراسة، كما يجب عليه إشعار المبحوث بأهمية الدراسة وأهدافها، ولا بد عليه كذلك أن يتفادى جميع أساليب الاستفزاز و كل العوامل المشوشة على مجريات عملية جمع المعلومات خاصة في حالة تطبيق المقابلة مثل تفادي المكالمات الهاتفية واستقبال الأشخاص وكذلك تفادي مصادر الضجيج جميعها.

**12- مرحلة التحليل والتفسير:**

بعد أن ينتهي الباحث من مرحلة جمع البيانات ينتقل إلى مرحلة أخرى هي تحليل هذه البيانات وتفسير النتائج المستخلصة من عملية التحليل، وتعتبر هذه المرحلة من أصعب مراحل البحث نظرا لكونها تحتاج إلى مهارة وخبرة وكفاءة وحنكة أكثر من جانب الباحث، لكونها

حسب " رياض زقال" (Riahd Zghal) " تعتمد على نوعية وكفاءة الباحث أكثر من اعتمادها على وجود قواعد محددة وجاهزة للتطبيق"[1]. وهذا يتفق مع مقولة "قراويتز" (Grawitz) " لا توجد قواعد للحصول على إجابات جيدة مخفية ولا لطرح أسئلة جيدة"[2].

ونظرا للترابط بين العمليتين إلا أننا سوف نشرح كل مرحلة على حدى:

**أ- تحليل البيانات:**

بعد أن ينتهي الباحث من جمع البيانات بواسطة الأدوات التي صممها لهذا الغرض يقوم بتصنيف وتبويب وترميز* وتفريغ هذه البيانات في شكل جداول أو أشكال بهدف معالجتها وتحليلها واستخلاص النتائج منها، فالبيانات المجمعة تكون في شكل مادة خام ومبعثرة وغير جاهزة للتحليل وعلى الباحث تنظيمها حتى تكون قابلة للتحليل.

ويؤدي التحليل إلى "معالجة البيانات بطريقة تمكن من استعمالها بشكل يساعد على تقديم إجابات عن الأسئلة المطروحة (تجميع المعطيات الكمية، حساب المتوسطات ومعاملات الارتباط وبعض الاختبارات الإحصائية الأخرى)"[3].

ويتم تحليل البيانات سواء بشكل كمي أو كيفي**، فالتحليل الكمي يرتكز على تطبيق الإحصائيات وحساب التأثير الإحصائي لكل متغير من المتغيرات المدروسة، أما التحليل

---

[1] - Riahd Zghal, op. cit, p. 91

[2] - Ibid, p. 91.

* - يستخدم الترميز عندما يستعمل الباحث الحاسوب لمعالجة البيانات، حيث يقوم بإعطاء رموز للبيانات لأن الحاسوب لا يفهم اللغة العادية.

[3]- Riahd Zghal, op.cit. p 91.

** - للإطلاع أكثر حول التحليل الكمي والكيفي أنظر:

- محمد مسلم، منهجية البحث العلمي:دليل طلاب العلوم الاجتماعية والإنسانية، دار العرب للنشر والتوزيع، وهران، 2001-2002، ص ص55-57.

الكيفي فهو ينصب على مضمون الظاهرة سواء كان ذو طابع اجتماعي أو نفسي أو سياسي أو اقتصادي أو غير ذلك، ويمكن الدمج بين التحليلين الكمي والنوعي لأن هناك ظواهر يمكن تكميمها وظواهر لا يمكن تكميمها.

وحسب "مارتين دينسكومب" " فان البحث الجيد هو الذي نستخدم فية كلا التحليلين الكمي والكيفي، وأن الفرق بين الطريقتين في التحليل هو بسيط ولاينم عن اختلاف في البحث بل في طريقة معالجة البيانات عند تحليلها"[1].

ويدور التحليل حول النقاط التالية[2]:

- تشخيص الارتباطات بين المتغيرات.
- تحديد ابعاد المقارنة بين فئات مجتمع الدراسة.
- توضيح درجة ارتباط الاجزاء بالكل او الكل بالجزء.
- تبيان اثر حضارة او ثقافة في انماط سلوك افرادها.

ولا بد عند التحليل من مراعاة الواقع فهو الذي يحدد لنا مستوى التحليل هل هو فرد أو جماعة أو مجتمع، فالتحليل يقتضي التحلي بالموضوعية وتحليل البيانات المجمعة كما هي دون أي تأثير للميول والأهواء الشخصية والأحكام المسبقة في عملية التحليل.

**ب- تفسير النتائج:**

بعد أن يحلل الباحث البيانات ويستخلص منها نتائج معينة عليه أن يقوم بتفسير هذه النتائج. ويعرف التفسير بأنه: "إعطاء دلالات ومعاني وشرح المعطيات (البيانات) بطريقة

---

- مارتين دينسكومب، دليلك العملي لاجراء الابحاث، ترجمة: خالد العامري، دار الفاروق للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، ط1، 2008، ص 293-358.

[1] - مارتين دينسكومب، المرجع السابق، ص 293 (بتصرف).

[2] - معن خليل عمر، الموضوعية والتحليل في البحث الاجتماعي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983، ص 226.

موضوعية، وتوضيح الغايات منها والأهمية التي تنطوي عليها: أي أن التفسير يكون في حدود المعلومات المتحصل عليها"[1].

"ويقدم التفسير من ناحية معينة خلاصة تربط الأجوبة المقدمة من خلال التحليل المعرفي الذي عرضه الباحث على الصعيد النظري وعلى الصعيد الحسي(الملموس) للوسط المدروس، وهذا بهدف تقديم معنى أكثر عمومية لإجاباته، وبعبارة أخرى فإن التفسير يشكل قراءة المعطيات (البيانات)"[2].

وحتى يتمكن الباحث من تقديم تفسير جيد للنتائج عليه أن يراعي ما يلي[3]:

- أن ينظر إلى النتائج بنظرة شمولية.
- أن يدرس المشكلة بشكل شامل.
- أن ينظر للظروف والملابسات التي تكون قد أحاطت بالدراسة من أجل تقديم تفسير صادق وموضوعي يمكن تعميمه على مجتمع الدراسة أو باقي الحالات أو الظواهر المماثلة أو المشابهة.

والتفسير يتم من خلال النظرية أو من خلال نتائج الدراسات السابقة أو من خلال الواقع المدروس.

والذي يهمنا في هذا المقام هو مراعاة الواقع والميدان في تفسير النتائج، إذ يجب أن يكون تفسير النتائج متماشيا مع الواقع وغير مخالف أو مناقض له، فإذا توصل الباحث مثلاً إلى أن نسبة الذكور في المؤسسات الاقتصادية الجزائرية أقل من نسبة الإناث وفسر ذلك بالعامل الديموغرافي: أي أعزى ذلك إلى كون نسبة الذكور أكثر من نسبة الإناث في المجتمع

---

[1] - خالد حامد، المرجع السابق، ص 100.

[2]- Riahd Zghal, op.cit. p 91.

[3] - محمد مسلم، المرجع السابق، ص 60،61 (بتصرف)

الجزائري، فهذا غير صحيح ومخالف للواقع، ذلك أن الإحصائيات الرسمية تشير بأن نسبة الإناث أكثر من نسبة الذكور ومن هنا لا يمكن تفسير هذه النتيجة بالعامل الديموغرافي.

ولكن إذا فسر الباحث هذه النتيجة أو الخلاصة بكون المجتمع الجزائري مجتمع محافظ ولديه اتجاهات (في الماضي القريب وما تزال خاصة في المجتمعات القروية والنائية) تمنع أو تحد من خروج المرأة للعمل، وكذلك نظرا لكون الأسرة الجزائرية تعتمد على الرجل في مجال بناء الأسرة وإعالتها، فهذا التفسير ذو البعد الاجتماعي والثقافي أكثر واقعية من التفسير الديموغرافي.

وهكذا يجب على الباحث أن لا يفسر البيانات أو النتائج بالاعتماد على الخيال أو بالاعتماد على تلك النتائج المستخلصة من دراسات أجريت في بيئات مغايرة للبيئة المدروسة، أو بالاعتماد على نظريات تم استخلاصها من دراسة واقع آخر مغاير، بل يجب عليه أن يفسرها بالاعتماد على الواقع أي ما يلاحظه، حيث يجب أن ينظر إلى الواقع المدروس كجزء ضمن سياق متميز له أبعاده الاقتصادية و الاجتماعية والسياسية والثقافية والجغرافية وغيرها.

فعلى سبيل المثال إذا كان " إميل دوركايم " قد فسر ظاهرة الانتحار في المجتمع الغربي بضعف التماسك الديني، فهل يصدق ذلك في المجتمعات العربية الإسلامية، فإن هذا التفسير لا يمكن تعميمه عند دراستنا لنفس الظاهرة في المجتمعات العربية الإسلامية.

وعند التفسير لابد من مراعاة التغيرات التي حدثت في المجتمع لأن لها دور كبير في عملية تغيير حالة الظواهر وأوضاعها، فإذا قلنا بأن النمط الاستهلاكي للشعب الجزائري قد أصبح يتميز بالتنوع بعد أن كان ذو طابع نمطي، فإن تفسير ذلك يعود إلى الانفتاح الاقتصادي الذي عرفته البلاد والسماح بدخول السلع الأجنبية على إثر التحول العام للدولة من نظام الاقتصاد الموجه إلى نظام الاقتصاد الحر.

## الخاتمـــة:

من خلال العرض السابق نستخلص بأن الميدان هو قضية جوهرية في البحث العلمي في مجال العلوم الاجتماعية، وبأنه ليس آخر خطوة أو محطة يراعيها الباحث بعد إنجاز الجانب النظري من بحثه كما جرت العادة لدى العديد من الطلاب والباحثين، بل الأمر على العكس من ذلك تماما، فالميدان مسألة يجب مراعاتها منذ أول خطوة في البحث وحتى آخر خطوة منه.

وعلى هذا الأساس وحتى يتمكن الباحث من انجاز بحث ميداني بشكل سليم فاننا نوصيه بمايلي:

- اختيار موضوع بحث موجود في الواقع.
- تحديد وصياغة مشكلة البحث بشكل يمكن من بحثها ودراستها في الواقع.
- طرح سؤال الانطلاق بشكل يجعل من الممكن الاجابة عنه في الميدان(من خلال المعطيات الميدانية).
- صياغة فرضيات قابلة للاختبار في الميدان.
- تعريف المفاهيم تعريفا إجرائيا وبشكل يسمح بقياسها ميدانيا، وذلك من خلال تحديد أبعاد ومؤشرات لها.
- اختيار النظرية الملائمة، أي الملائمة للواقع والقادرة على تفسيره والتي لا تتعارض مع الحقائق الموجودة فيه، وهنا يجب على الباحث عدم التعصب لنظرية معينة، لأنه حينها سيصبح كصاحب ايديولوجية أو عقيدة معينة لايرى الأمور الا وفق هذه الايديولوجية او العقيدة، فشأنه شأن من يلبس نظارة ذات لون معين يرى الاشياء من حوله بذلك اللون ولا يراها بلونها الحقيقي.
- اختيار المنهج الملائم الذي يساعده على إجراء الدراسة الميدانية.

- بخصوص مجتمع أو عينة الدراسة فلابد أن تنطوي على المعلومات ذات علاقة بالموضوع المدروس (لابد من اختيار مجتمع ينطوي على المعلومات التي يريدها الباحث).

- إختيار الأدوات الملائمة لدراسة الواقع والقادرة على جمع البيانات منه من أجل اختبار الفرضيات والإجابة على إشكالية البحث.

- مراعاة خصوصيات مجتمع الدراسة عند التعامل مع المبحوثين في عملية جمع البيانات.

- على الباحث أن يتقن طرق التعامل مع البيانات الميدانية التي يقوم بجمعها بواسطة أدوات جمع البيانات، وذلك سواء من حيث ترميز البيانات أو تفريغها في جداول أو التعليق عليها أوتحليلها سواء بشكل كمي أو كيفي أو بشكل كمي وكيفي معا.

- مراعاة الميدان عند تفسير البيانات، وذلك بتفسيرها بشكل موضوعي يتلائم مع الواقع ولا يعارضه.